مستقبل الأمة الإسلامية

في رؤية محمود حمدي زقزوق

د الصاوى الصاوى أحمد (*)

لقد شُغِل الأستاذ الدكتور/ محمود حمدي زقزوق منذ شبابه, وقبل توليه منصب وزير الأوقاف بقضايا الإسلام والمسلمين فكتب الكثير من مؤلفاته وأبحاثه ومقالاته عن قضايا الأمة الإسلامية وهمومها.

ومن هذه المؤلفات والأبحاث :

- الإسلام ومشكلات المسلمين في ألمانيا عام ١٩٨١.
- دور الإسلام في تطور الفكر الإسلامي ١٩٨٤.
- الإسلام والاستشراق عام ١٩٨٤.
- العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان عام ١٩٩٤.
- الإسلام دين وحضارة عام ١٩٩٧.
- الإسلام في مواجهة حملات التشكيك
- الإسلام وقضايا الإنسان عام ١٩٩٧.
- هموم الأمة الإسلامية عام ٢٠٠١.
- الإسلام في تصورات الغرب.

وغيرها كثير من المؤلفات التي تبحث في قضايا ومشاكل المسلمين, بالإضافة إلي المحاضرات واللقاءات التي ألقاها سواء في الداخل أو الخارج ؛

(*). أستاذ الفلسفة الإسلامية ووكيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة قناة السويس، الإسماعيلية، مصر.

obeikandl.com

فلا توجد مناسبة التقيت به فيها إلا وأحس أنه مشغول بهموم العالم الإسلامي ليس في مصر وحدها بل وفى كل بقعة إسلامية من بقاع العالم.

وقد كنت شاهدًا على ذلك حين كنت زائرًا للصين منذ بضعة أشهر ؛ فما من أحدٍ ألتقيه في جلسة علمية أو غير علمية من الجانب الصيني حتى يذكر الدكتور/ زقزوق ودوره الجليل في خدمة الدعوة الإسلامية, وكان مجمل رأيهم أنهم عرفوا الكثير عن الإسلام من سيادته في لقاءات قصيرة وعابرة لا تتعدي دقائق معدودة، وهذا يدل علي أن الرجل لا يترك فرصة إلا ويتحدث فيها عن الإسلام وخصائصه وأهميته ومستقبل.

وقد حاول د / زقزوق في مقالاته ومؤلفاته، أن يركز علي هموم الأمة الإسلامية وهو لا يعني بهموم الأمة مجرد سرد الأحزان والأشجان ــ كما ذكر هو ــ ولكن تجاوز هذه الهموم إلي التعرض إلي القضايا التي تقلق الأمة الإسلامية، وتجعلها معنية بها ومهتمة بأمرها لما لها من أثر بالغ في مستقبلها ومصيرها ومكانتها علي خريطة العالم ولم يكتف أيضًا بعرض هذه القضايا بل حاول إيجاد الحلول من وجهة نظره.

وقد بدأ حديثه عن هموم الأمة الإسلامية، بالتساؤل عن الأسباب التي قادت العالم الإسلامي إلى هذه الحال الصعبة بالرغم من مكانة الإسلام بين الديانات السماوية، و بالرغم من كثرة معتنقيه الذين يمثلون خمس سكان العالم، ووجود كل المقومات البشرية والمادية، فبلاد المسلمين سواء تلك التي تقع داخل العالم العربي أوخارجه تشتمل على معظم خيرات الدنيا وثرواتها من معادن وكنوز مختلفة، كما أن للإسلام حضارته وتاريخه المشرف الذي يؤهله للإسهام بدور مؤثر وفعال في مسار التاريخ، وتوجيه أحداثه، وتقرير مصيره، واحتلال مكانة لائقة علي خريطة العالم.

وبالرغم من هذا " فالأمة الإسلامية متقطعة الأوصال، منهوكة القوى، مستنزفة الموارد، مسلوبة الإرادة "[1] على حد تعبيره وكما وصفها بعض المفكرين المسلمين المعاصرين ((أمة حائر في عالم محير)) تشغل نفسها بقضايا هامشية تجاوزها الزمن،وسادها الصراع والنزاع بدلا من الاتفاق والتفكك بدلاً من الوحدة،والنظرة الجزئية بدلاً من النظرة الكلية والاقتضاء بالعبد بدلاً من الاقتضاء بالرب.

وبعد أن أجمل لنا حال الأمة الإسلامية بتحديد نقاط الضعف عرض لنا في كتابه الهام ((هموم الأمة الإسلامية)) مفاتيح الحضارة الإسلامية في ظل القرآن والسنة خلال محاضرة ألقاها بدار الأوبرا المصرية عام ١٩٩٨، ونشره في الكتاب السابق الذكر والتي لخصها في أن الحضارة فريضة إسلامية، حيث تعتمد أي حضارة علي الإنسان الذي كرمه الله بجعله خليفة الله في أرضه، ومما يؤكد ذلك أن المسلمين في أول عهدهم التزموا بالروح الإسلامية الصحيحة التي أهلت إلي قيام حضارة حقيقية لاحضارة مزيفة، حقيقية لأنها قامت علي كل مقومات الحضارة من روحانية، ومادية وبشرية، وأخلاقية، ولهذا نجد أن الحضارة الإسلامية لا يستطيع أحد إنكارها أو التقليل من شأنها، عكس الحضارة الأروبية المعاصرة.

كما قام د./ زقزوق بتفنيد مزاعم أعداء الإسلام بأن أسباب عدم قيام حضارة في العالم الإسلامي يرجع إلي الإسلام، فالدين الإسلامي قام علي أساس دعوة معتنقيه إلي التخلص من الجهل والعنف والعصبية والتحلي بالعلم والإيمان والقيم الإسلامية من علم ,وسماحة، ومرونة.....إلخ وهذه أسس قيام أي حضارة فلا حضارة بدون علم وسماحة ومرونة.

---

(١) محمود حمدي زقزوق : هموم الأمة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠١،صـــــ ٧

وبعد أن بحث مفاتيح الحضارة عرض لنا التحديات التي تواجه الإسلام خلال القرن الحادي والعشرين،والتي قسمها إلي تحديات داخلية وتحديات خارجية، فالتحديات الداخلية مثل : ظاهرة الإرهاب – والفهم الخاطئ للإسلام – والتحديات الخارجية مثل : خوف الغرب من الإسلام – وصراع الحضارات – وأنظمة العولمة والتطورات العلمية الحديثة والتي تتطلب فهمًا وتوجيهًا صحيحًا ؛ لأنه ما من تطور علمي إلا و له إيجابياته وسلبياته، وبالرغم من وضع د./ زقزوق أصابعه علي الداء الذي يهدد الأمة الإسلامية سواء الداخلي أو الخارجي فإنه قد أغفل الكثير من هذه التحديات والتهديدات , من هذه التحديات الصراع العقدي بين أصحاب الديانات الأخرى والمسلمين وتضارب المصالح، فوجود الإسلام وانتشاره يؤثر سلبًا علي مصالح بعض الدول ذات الأهواء والأغراض – ومن هنا فالإسلام مستهدف من أصحاب هذه المصالح.

وقد حاول أستاذنا تفنيد هذا التحديات بشرح وتوضيح أن الدين الإسلامي دين استنارة لا دين استثارة، ودين تنوير لا تظليم،واستدل علي ذلك من الكتاب والسنة النبوية.

وبعد أن شخص الداء أوضح مفهوم الأمة الواحدة كما جاء في القرآن الكريم والذي يدل علي أن المراد بالأمة الواحدة هي أمة الأنبياء التي تدين بعقيدة واحدة وتنهج نهجاً واحدًا هو الاتجاه إلي الله دون سواه، أمة واحدة في الأرض، ورب واحد في السماء لا إله غيره ولا معبود إلا إياه، أمة واحدة وفق سنة واحدة تشهد بالإرادة الواحدة في الأرض والسماء[1]. وهذا يتفق مع

---

(١) د./ محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق، صـــ٧٢

ماجاء في قوله ((وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)) سورة الأنبياء (آية ٩٢).

ومن الأبعاد أو الأركان التي يجب أن تتوفر لوحدة الأمة الإسلامية

١- البعد الديني : والذي يمثل أهم عناصر وحدة الأمة الإسلامية.

٢- البعد الإنساني : وهولا ينفصل عن البعد الديني.

٣- البعد الاجتماعي : وهو محصلة البعدين السابقين ويتمثل في الأخوة التي دعا إليها القرآن الكريم قي قوله تعالي ((إنما المؤمنون إخوة)) سورة المائدة : الآية ٣٢.

٤- البعد الجغرافى : فبالرغم من أن مركز الإسلام والوحي هو مكة المكرمة إلا أن الدين الإسلامي الآن يشمل معظم الكرة الأرضية.

٥- البعد الحضاري : فالإسلام دين حضارة وجاء في أول أيةٍ نزلت بأول عناصر الحضارة وهو القراءة.

ومن خصائص المجتمع الإسلامي أو الأمة الإسلامية وحدة العقيدة والمبادئ – فالله واحد، والله الواحد فرض المساواة بين البشر، وهذه السمة تفرض بذاتها التكافل بين أفراد المجتمع المسلم لهذا فرض الزكاة التي تحث علي التعاون والتراحم والمحبة، و كما فرض الإسلام الزكاة فرض مبدأ الشورى لتقوية المجتمع وبث روح العزة والتسامح.

لكن السؤال الآن إذا كانت هذه هي خصائص ومميزات الأمة الإسلامية فلماذا حالها الآن لا يسر عدوًا ولا حبيبا.

obeikandl.com

حاول د./ زقزوق رسم صورة لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه المسلمين، واقترح عدة حلول وتصورات، وبدأ من المواجهة الخارجية، والتي تتمثل في إنشاء مركز علمي للدراسة الاستشراقية للرد علي مزاعم وأكاذيب المستشرقين الذين حاولوا تشويه الإسلام والمسلمين، ومركز علمي لدراسة التيارات المعاصرة، وعمل موسوعة إسلامية عالمية، وإنشاء جهاز علمي للدعوة الإسلامية في الخارج.

وليسمح لي أستاذنا بالاختلاف معه في هذا ونبدأ بالمواجهة من الداخل بتحديد هوية شخصية المسلم في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي ويكون تحديد الهوية عن طريق دراسة سيكولوجية المسلم في كل مجتمع علي حده، ومن هنا تستطيع تحديد شخصية الإنسان المسلم فإذا حددنا شخصيته فإننا نستطيع أن نعرف ماذا يريد وكيف يفكر، كما نستطيع التعامل معه وفهمه، ومن هنا يمكننا تكوين وحدة لأنه لا يمكن تكوين وحدة شاملة بدون فهم بعضنا البعض، وتحديد نقاط الضعف في كل مجتمع واستكمالها من المجتمع الآخر المسلم أيضًا.

يتم هذا عن طريق مراكز علمية لدراسة المجتمع المسلم من كل جوانبه السيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية، و الثقافية، والعلمية، والسياسية، ومن هنا يمكننا التعاون والتآلف والاتحاد، وفي المقابل عمل دراسات للمجتمعات الخارجية من نفس الجوانب السابقة لتحديد شخصية وهوية الإنسان الغربي، حتى يمكننا التعامل معه من منطلق الكل وليس الفرد، وهذا ما قامت به الصين فقد قامت الصين منذ مدة بدراسة سيكولوجية المجتمعات الصينية ؛ وكانت نتيجة ذلك – أنه بالرغم من تعدد القوميات والعصبيات داخل المجتمع الصيني إلا أنهاستطاع أن يحافظ علي وحدته لأنه مجتمع يعرف نفسه جيداً

ويعرف الآخر الذي يعيش معه، سواء كان بوذيًا أو فوشيًا أو مسيحيًا أو مسلمًا أو غير ذلك.

كما تمكن المجتمع الصيني من كسب ود وحب معظم المجتمعات الدولية عن طريق إرسال باحثين متخصصين في علم النفس والاجتماع والاقتصاد لدراسة سيكولوجية وشخصية المجتمعات العربية وغير العربية وكذا الطبقات الاجتماعية والظروف الاقتصادية ونجح عن طريق هذا الدراسات في تسويق منتجاته في أرقي دول العالم كأمريكا ودول أوربا وكذا العالم العربي، فقد نجح الصينيون في تسويق بضائعهم وكسب العميل العربي في الوقت الذي عجز العربي في كسب أخيه العميل العربي.

إذن يجب أن نبدأ بمعرفة أنفسنا من جميع جوانبها النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وفي نفس الوقت يتم ذلك مع الآخر عندئذٍ نستطيع كسب الآخر وتعريفه بحقيقتنا لأنه لا يعقل أن أعرف الآخر بدون أن أعرف من أنا.

وفي نهاية المقالة لا يسعني إلا تقديم الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور/ محمود حمدي زقزوق على جهوده في خدمه الإسلام والمسلمين وأطال الله في عمره وإيمانه وأعانه علي المزيد من العطاء.

obeikandl.com